

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، ونحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسَلِّمْ تسليماً (١)

وبعد

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحدُ أركان الإيمان بالله تعالى؛ وهي: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات (٢)

فنزله في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحداً أن (٣) يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علمٍ بأسماء الله - تعالى - وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" [الأعراف: ١٨٠]. وهذا يشمل دعاء المسألة،

(١) انظر تعليق الشارح على خطبة الحاجة وما يتعلق بها من مسائل في: شرح الرسالة التدمرية (١٣) فما بعدها).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٦).

(٣) في المطبوع: ولا يمكن أن أحداً ... ، والصواب ما أثبت.

ودعاء العبادة (١)

• فدعاء المسألة: أَنْ تُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيَّ مَطْلُوبَكَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ - تعالى - ما يكون مناسباً مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أَنْ نَتَعْبُدَ اللَّهَ - تعالى - بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى، أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجياً من الله - تعالى - أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده.

وسميته: (القواعد المثلى في صفات الله - تعالى - وأسمائه الحسنى) .

التعليق

الإيمان بالله هو الأصل الأول من أصول الإيمان الستة ، لكن الإيمان بالله يشمل عدة معانٍ ، كما سماها الشيخ أركان الإيمان بالله .

فبالإيمان بأسماء الله وصفاته ، يعرف العبد ربه ، ويعرف أنه - تعالى - هو الإله الحق، وأنه رب كل شيء ومليكه؛ بل إن معرفة الله بأسمائه وصفاته بهذا العموم يشمل كل الجوانب الثلاثة (٢) ، لأن ربوبيته وإلهيته

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٣٧) ، بدائع الفوائد (١ / ٢٨٨) ، الفوائد (٣٦) ، شرح الرسالة التدمرية (٤٦ وما بعدها) ، شرح العقيدة الطحاوية (٢٦ وما بعدها) .

(٢) والتي هي أقسام التوحيد الثلاثة.

هي من جملة صفاته , فهو الله يعني: الإله , وهو رب العالمين , وهو الخالق، وهو الرازق، وهو المدير، وهو الذي له الملك وله الحمد , فعرفة أسمائه وصفاته في الحقيقة إذا أخذت بالمفهوم العام , تشمل كل معانِ الإيمان بالله؛ لكن أهل العلم درجوا على التقسيم , تقول: توحيد الله يعني: الإيمان بتفرد سبحانه.

واعتقاد تفرد ووحدايته وأنه واحد , هذا له متعلقات , فاعتقاد تفرده بالإلهية هذا هو توحيد الإلهية وهو يقضي إفراده بالعبادة , والإيمان بتفرده بالربوبية , معناه الإيمان أنه الخالق الرازق المالك وحده , فلا رب غيره ولا خالق سواه , وأن له الملك وحده , والثالث من أنواع التوحيد توحيد أسمائه وصفاته وهو: اعتقاد تفرده بما له من الأسماء والصفات , كاسمه الملك، القدوس، السلام، المؤمن؛ فالإيمان بالله يشمل كل هذه المعاني.
وابن القيم يقول: إن العلم الشرعي أقسام ثلاثة:

١ - العلم بالله , بأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢ - العلم بدينه , أمره ونهيه.

٣ - العلم بجزاء العاملين.

كما قال (١) :

والحقُّ ذو تبيان
وكذلك الأسماءُ للرحمن
وجزاؤه يوم المعادِ الثاني

فالعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع
علمٌ بأوصافِ الإله وفعله
والأمرُ والنهيُّ الذي هو دينه *
فالإيمان بالله يشمل هذه الأمور.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ٢٢٥ المتن المفرد) الأبيات (٤٢٥٣ - ٤٢٥٥) .

والشيخ - رحمه الله - جعل أركان الإيمان بالله أربعة ، وجعل أولها الإيمان بوجوده ، وهذا لا نحتاج إليه إذا قررنا الثلاثة ، لكن لما كان هناك - والعياذ بالله - من يجحد وجود الله ذكر بعضهم أولاً الإيمان بوجود الله، ثم من آمن بوجود الله عليه أن يؤمن بالأركان الثلاثة ، لكن من آمن بأسماء الله وصفاته وآمن بربوبيته فهو مؤمن بوجوده ، لأن هذه المعاني لا تتحقق إلا لموجود ، فالله - تعالى - موجود وهو أكمل الموجودات ، لأنه موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، ولأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق، وهو الملك المتصرف ، وهو الإله المستحق للعبادة وحده دون ما سواه.

وللناس في الإيمان بالله مذاهب وطرق:

١ - فأجهلهم وأضلهم وأكفرهم: الجاحد لوجود الله؛ وهم قلة في العالم ، وحتى من يجحد وجود الله الغالب عليهم أنهم يفعلون ذلك تلبساً وتجاهلاً وتضليلاً ، كما صنع فرعون حين قال: "وما رب العالمين" [الشعراء: ٢٣] ، وقال: "ما علمت لكم من إله غيري" [القصص: ٣٨] وهذا تلبيس "فاستخف قومه فأطاعوه" [الزخرف: ٥٤] ، وهو يعرف لكن وجد أقواماً يخدعهم ويضلهم ، وأخبر الله عن موسى أنه قال لفرعون: "لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض" [الإسراء: ١٠٢] ، وقال تعالى: "وحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين" [النمل: ١٤] ، وقال في الذين جحدوا الرسالة: "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون" [الأنعام: ٣٣] .

٢ - وهناك من يؤمن بوجود الله لكن لا يؤمن به على الوجه الصحيح الذي دلت عليه العقول والفطر والشرائع؛ فالفلاسفة يثبتون وجود الله ويسمون العلة الأولى ، لكن يقولون فيه أقوالاً تناقض العقول والفطر وما جاءت به الرسل .

٣ - وآخرون يؤمنون بوجود الله، ويؤمنون بربوبية الله وبصفاته في الجملة، ولكنهم يعبدون معه غيره؛ وهذا هو الغالب على الأمم، فيكون انحرافهم في توحيد العبادة حيث جعلوا مع الله آلهة أخرى.

٤ - والرسول وأتباعهم بريئون من كل هذه المذاهب الباطلة، فيؤمنون بالله إيماناً تاماً، ويوحدونه في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، ويخلصون له العبادة، ويكفرون بكل ما يُعبد من دونه.

فهذا التقسيم يمكن معرفة واقع الأمم وأحوالها، بتحديد ما أقرؤا به وما أنكروه، وتحديد ما معهم من حق وباطل.

وزعم بعض المتعصبين أن تقسيم التوحيد إلى هذا التقسيم بدعة وأن هذا من اختراع ابن تيمية (١)، ولكن هذا الزعم من أقوال أهل الأهواء:

١ - لأن هذا التقسيم مستمد من الكتاب والسنة ومن واقع الناس؛ فالنصوص دلت على أنه سبحانه هو الإله الحق وأنه رب كل شيء، وأنه الموصوف بكل صفات الكمال، وأنه لا شبيه ولا شريك له.

٢ - ثم إن الفقهاء قسموا أفعال العبادات إلى أركان وواجبات وسنن مع أن هذا غير موجود لا في النصوص ولا في كلام السلف (٢)، لكنها تقسيمات صحيحة مستمدة من معان النصوص ودلالاتها؛ فالأركان واجبات لكن اصطلاح الفقهاء على أن الركن هو واجب لكن يختلف عما سموه واجباً من جهة الحكم، فأركان العبادة وجوبها أكد مما يقال فيه إنه من قبيل الواجبات، ولهذا قالوا: إن الركن يلزم من تركه بطلان العبادة بخلاف الواجبات فإنها تنجز؛ فمثلاً: الواجبات في

(١) ردّ على هذه الفرية الشيخ عبد الرزاق البدر - وفقه الله - في كتابه (القول السديد في الرد على من أنكروا تقسيم التوحيد)؛ وانظر - غير مأمور - كلام الشارح في شرح الرسالة التدمرية (٤٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٧).

(٢) جامع المسائل (المجموعة الأولى / ٢٤٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٧).

الصلاة تنجز بسجود السهو، وفي الحج تنجز بفدية... إلى آخره.

واستدل الشيخ - رحمه الله - على ذكر الأسماء بالآية: "ولله الأسماء الحسنى" [الأعراف: ١٨٠] فجميع أسمائه حسنى , بالغة في الحسن غايته , "له الأسماء الحسنى" جاء هذا في مواضع من القرآن (١) , وقال - سبحانه وتعالى "فادعوه بها" [الأعراف: ١٨٠] فنقول: يا الله، يا رحمن "قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوه فله الأسماء الحسنى" [الإسراء: ١١٠] يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين.

وكلما كان العبد أعلم بالله وبأسمائه وصفاته وأكمل استشعاراً واستحضاراً لها = كان أكمل في الأحوال العبادية , خوفاً ورجاءً وتوكلًا (٢)

• وكل شيء من أحوال القلوب له مقتضيات من أسماء الله:

١ - فمن أسمائه وصفاته ما يقتضي من العبد الخوف مثل: أنه شديد العقاب.

٢ - ومنها ما يقتضي الرجاء، مثل: أنه غفور رحيم.

٣ - وربوبيته وكمال ملكه وقدرته تقتضي صدق التوكل عليه.

(١) الموضع الأول: "ولله الأسماء الحسنى" الأعراف: ١٨٠، والموضع الثاني: "فله الأسماء الحسنى" الإسراء: ١١٠، والموضع الثالث والرابع: "له الأسماء الحسنى" طه: ٨ والحشر: ٢٤.

(٢) شرح الرسالة التدمرية (١٨) •